03-المحاضرة الثالثة: المسح الأثري أنواعه وتقنياته.

أولا- أنواعه:

لقد تعددت وتنوعت الطرق والوسائل المستخدمة في أعمال المسح الأثري للموقع، الأمر الذي أدى إلى بروز ثلاثة أنواع للمسح الأثري وهي أشهرها وأكثرها استخداما واستعمالا في الموقع الأثري:

أ- المسح الشامل:

يعد المسح الشامل أحدث أنواع المسح الأثري، فهو يهدف إلى مسح كل أجزاء المنطقة مرتفعاتها ومنخفضاتها، سهولها ووديانها، وتحديد المواقع الأثرية الظاهرة والمطمورة، بالوسائل والطرق العلمية المستخدمة في الكشف عن الأثار، مهما كان نوع الأثار وفتراتها التاريخية التي تعود إليها، سواء كانت شظايا، أدوات حجرية، وفخار، وعناصر معمارية، وقبور وكهوف وأسوار ومباني[14].

ب-المسح الاختياري:

أو المسح الجزئي، وهو كما يظهر من عنوانه اختيار أماكن معينة ومحددة حسب الهدف المنشودة من عملية المسح، فإذا كنا نهدف إلى الحصول على معلومات عن فترة تاريخية معينة، فإننا نقوم بمسح المواقع التي ترجع إليها دون غيرها من المواقع، وإذا كانت دراستنا تهدف إلى التعرف على نوع من المنشآت أو المعالم الأثرية كالطرق أو المدافن أو الرسوم الجدارية ضمن نطاق جغرافي محدد فإننا سنهمل المعالم الخرى[15].

كما أنه يمكن أن نقوم بعملية مسح بغية معرفة تاريخ منطقة معينة وأهم شواهدها ومعالمها الأثرية، وفي هذه الدراسة سنركز على المواقع الكبيرة وذات الأهمية البالغة في حين نغفل المواقع الصغيرة، وفي جميع هذه الحالات تكون عملية المسح الاختياري قليلة التكاليف وسريعة الإنجاز، عكس المسح الشامل الذي يتطلب جهدا ووقتا كبيرين[16].

ت-المسح الإنقاذي:

يتم هذا المسح في المناطق التي ستقام فيها مشاريع كبرى كالسدود وشق الطرقات الرئيسية والوطنية، والمؤسسات الصناعية الهامة التي تستدعي الضرورة إلى إنجازها في منطقة محددة، ويصبح دور المسح في مثل هذه المناطق إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الآثار، والمعلومات المهددة بالزوال والإندثار، ويجب أن يتم بسرعة وبطريقة دقيقة وشاملة، حتى تتبعه حفريات إنقاذيه هي الأخرى، ويجب أن تسجل

---

[14]- دحدوح (عبد القادر)، مدخل إلى علم الآثار وتقنياته، مطبوعة دروس موجهة لطلبة السنة أولى والثالثة جامعي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ص12.

[15]- دحدوح (عبد القادر)، المرجع السابق، ص12.

[16]- نفسه، ص12.

كل المواقع كبيرها وصغيرها، ومن أي فترة تاريخية كانت، بالصور والمخططات والخرائط والأشكال والوصف ومختلف المعطيات المتعلقة بها التاريخية والجغرافية والأثرية[17].

ثانيا- تقنياته ووسائله (التقنيات القديمة).

إنّ الأساليب والتقنيات والوسائل التي يستعين بها الأثري في تحديد ومسح الموقع الأثري متعددة ومتنوعة، فمنها ما هو قديم كدراسة الخرائط وطريقة السير على الأقدام، ومنها ما هو حديث كالمسح عن طريق التصوير الجوي وعن طريق فحص حبوب اللقاح، واستخدام وسائل الكشف عن المعادن، والمسح بطريقة قياس القوة المغناطيسية للتربة، والمسح بطريقة قياس المقاومة الكهربائية وغيرها من الوسائل والأساليب التي تتطور بتطور العلوم التقنية.

أ-الأساليب الأثرية القديمة:

-دراسة الخرائط:

وتتمثل هذه الطريقة في دراسة جميع أنواع الخرائط التي رسمت حول الموقع أو المنطقة المراد المسح فيها، كالخرائط الجغرافية القديمة والحديثة، وخرائط التضاريس، والخرائط الجيولوجية، وخرائط الغطاء النباتي، وخرائط التربة وغيرها[18].

إنّ الهدف من دراسة هذه الخرائط هو مساعدة الأثري بمعلومات تساعده على توجيه مسار عملية المسح، كما تساعده أيضا في الكشف عن الإمكانيات الطبيعية للمنطقة محل المسح، فالخرائط الجغرافية تزود الأثري بمعلومات عن الأماكن الصالحة للاستيطان والزراعة، والرعي. أما خرائط التضاريس فإنّها تمكنه من معرفة الارتفاعات والانخفاضات على سطح الموقع، كما تحدد له مسارات الطرق القديمة، وأماكن السدود وغير ذلك، أما الخرائط الجيولوجية فإنها تساعده في معرفة طبقات الأرض وأنواع التربة، وأماكن وجود المناجم والمعادن، وكل هذه المعلومات تساعد الأثري في الكشف عن أماكن الاستيطان البشري، وطرق معيشة الإنسان في تلك الفترة، وذلك لارتباط معيشة الإنسان بطبيعة المنطقة التي يعيش فيها، وينبغي أن يكون الأثري على دراية بقراءة مختلف أنواع الخرائط الحديثة، كما يمكنه أن يستعين بالجيولوجي والجغرافي[19]، وعالم النبات وعالم الحيوان، أما الخرائط القديمة التي رسمت في العصور التاريخية المختلفة فيستفاد منها في التعرف على مواقع المدن القديمة والموانئ وغير

---

[17]- دحدوح (عبد القادر)، المرجع السابق، ص12.

[18]- قادوس (عزت زكي حامد)، المرجع السابق، ص49.

[19]- قادوس (عزت زكي حامد)، المرجع السابق، ص49.

ذلك من المواقع الأثرية المختلفة والمتعددة، وعند دراسة هذه الخرائط يجب على الأثري أن يتجاهل الحدود السياسية وطرق المواصلات الحديثة[20].

- **طريقة السير على الأقدام:**

إنّ الهدف من هذه العملية هو قيام المختصين الأثريين بالتفتيش الدقيق عن الآثار في المنطقة التي يراد الحفر فيها، ويتم ذلك بواسطة السير على القدم في كل شبر من تلك المنطقة، وذلك من أجل جمع ما تيسر جمعه من اللقى والبقايا الأثرية الصغيرة[21]، وهذه الطريقة من أهم الطرق المستخدمة في تحديد المواقع الأثرية وجمع المعلومات الأولية عنها، وتعتمد هذه الطريقة على الملاحظة السطحية الدقيقة أثناء السير على سطح الموقع الأثري[22].

إنّ هذا التفتيش هو الخطوة الأولى التي تسبق عادة وضع خطة عامة للحفر، والغرض منه هو تحديد مكان الآثار وتعيين طبيعتها وتقدير أهميتها لاختيار أكثر المواقع إنتاجا وأقلها تكلفة، تتم هذه الطريقة عن طريق تقسيم هيئة الكشف إلى مجموعات تتألف الواحدة منها من شخصين أو ثلاثة أشخاص، ويعهد إلى كل مجموعة البحث في قسم معين من المنطقة، توضح حدوده على خريطة خاصة تعدّ لهذا الغرض[23]، ويقوم كل عضو في هذه العملية من المسح بإلتقاط نماذج من المواد الأثرية التي توجد في العادة على سطح الموقع كشقف الفخار، والزجاج، وقطع المعادن، والأدوات الحجرية، ويجب أن تلتقط هذه اللقى الأثرية بطريقة علمية منظمة وموثقة، حتى يمكن الإستفادة منها في التعرف على هوية الموقع وتاريخه. هذا بالإضافة إلى ملاحظة الأمور التالية أثناء عملية السير من طرف أعضاء البعثة، وهي تتمثل فيما يلي[24]:

–نوعية النباتات التي تنمو في الموقع وأماكن وجودها إذا كانت المنطقة زراعية.

– مصدر المياه ومكان وجوده بالنسبة لمنطقة السكن.

–الأنظمة الدفاعية الطبيعية للموقع الأثري[25].

– تغير ألوان التربة في الموقع.

---

[20]– نفسه، ص49.

[21]– الدباغ (تقي)، المرجع السابق، ص80.

[22]– قادوس (عزت زكي حامد)، المرجع السابق، ص50.

[23]– الدباغ (تقي)، المرجع السابق، ص80.

[24]– قادوس (عزت زكي حامد)، المرجع السابق، ص50.

[25]– نفسه، ص50.

-ملاحظة الأعشاب التي تنمو على سطح الموقع، لأن إختلاف لون العشب يدل على وجود جدران أو حفر تحته.

-ملاحظة أثر الرطوبة في الصباح الباكر أو في المساء على سطح الموقع، لاحتمال وجود جدران أو أكوام أو حفر تحت الأماكن التي تحتفظ بالرطوبة لمدّة أطول[26].

-ملاحظة تناثر الحجارة على سطح الموقع، لاحتمال وجود مبنى في المكان الذي تكثر فيه الحجارة.

-جمع عينات من الحبوب والمواد العضوية التي تتواجد بالموقع وذلك من أجل دراستها[27].

إنّ أفضل وقت مناسب لإجراء المسح سيراً على الأقدام هو بداية فصل الربيع، أو قبل نمو الأعشاب الجديدة في الموقع، وبعد سقوط المطر الخفيف، حيث أنّ هذه الظروف المناخية تساعد على رؤية أحسن للظواهر السطحية والتقاط أفضل للملتقطات[28].

هناك شرطان رئيسان يجب أنّ يتوفرا قبل البدء في أعمال المسح وفي أي موقع كان: الإذن الرسمي أو الترخيص من طرف الجهات المختصة والوصية على المواقع الأثرية، بالإضافة إلى الخبرة العلمية التي يجب أنّ يتوفر عليها فريق العمل[29].

---

[26]- قادوس (عزت زكي حامد)، المرجع السابق، ص51.

[27]- نفسه، ص51.

[28]- نفسه، ص51.

[29]- نخله (منى يوسف)، المرجع السابق، ص223.